تفسير الشارع عليه السلام بردّه والاحسن بحال المؤمن الوقوف مع الشارع عليه السلام
قوله تعالى **ليبلوكم** اى ليختبركم وهو اعلم بكم منكم وهو متعلق بخلق اى خلق السموات و
الارض لحكمة بالغة وهى ان يجعلهما مساكن لعباده وينعم عليهم فيهما بفنون النعم ويكلفهم
الطاعات واجتناب المعاصى فمن شكر واطاع اثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما اشبه ذلك
اختبار المختبر قال ليبلوكم يريد ليفعل بكم ما يفعل المبتلى لاحوالكم كيف تعملون فان جملة ذلك
اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما يحتاج اليه اعمالكم ودلائل وامارات تستدلون بها
وتستنبطون منها وانما جاز تعليق فعل البلوى لما فيه معنى العلم من حيث انه طريق اليه
كالنظر والاستماع **ايكم احسن عملا** اى ايكم اكمل علما وعملا واطوع لله فان قيل كيف ذكر
صيغة التفضيل الدالّ على اختصاص الكلام بالاحسن اعمالا مع انّ الخطاب فى ليبلوكم عامّ
للمؤمنين والكافرين فانه امتحن الفريقين بالامر بالطاعة والنهى عن المعصية واعمال المؤمنين
هى التى تتفاوت الى حسن واحسن فامّا اعمال الفريقين فتتفاوت الى حسن وقبيح قلنا الخطاب
عام اريد به الخاص وهم المؤمنون تشريفا لهم وتحريضا على احاسن المحاسن وتحضيضا على
الترقى دائما فى مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح ولذلك قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليبلوكم ايكم احسن عقلا واورع من محارم الله واسرع فى طاعة الله وعلم انه
لما بيّن انه انما خلق هذا العالم لاجل ابتلاء المكلفين وامتحانهم وجب القطع بحصول الحشر
والنشر لان الابتلاء والامتحان يوجب الرحمة والثواب للمحسن والعقاب وذلك لا يتم الا بالاقرار
بالمعاد والقيمة فعند هذا خاطب محمدا صلى الله عليه وسلم فقال **ولئن قلت** اى ولئن قلت يا محمد
لهؤلاء الكفار من قومك **انكم مبعوثون من بعد الموت** للحساب والجزاء **ليقولن الذين
كفروا ان** اى ما **هذا** يعنى القرآن الناطق بالبعث او الذى تقوله **الا سحر مبين** اى
كالسحر فى الخديعة او البطلان يعنى لو تلوت عليهم من القرآن العظيم ما فيه اثبات البعث
لقالوا هذا المتلو سحر واللام لتوطية القسم وليقولن جوابه وحذف جواب الشرط لدلالة
القسم عليه وانكم محكى بالقول ولذلك كسرت همزته فى قراءة الجمهور وقرأ حمزة والكسائى الا ساحر
على ان الاشارة الى القائل وقرئ انكم بالفتح على تضمن قلت معنى ذكرت او ان يكون انّ بمعنى علّ
اى ولئن قلت علّكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا تبتّوا بانكاره ثم بيّن انه متى تأخّر عنهم
العذاب الذى توعّدهم الرسول به اخذوا فى الاستهزاء وقالوا ما الذى حبسه عنّا فقال **ولئن
اخّرنا عنهم العذاب** الموعود **الى** مجئ **امّة** اى اوقات واجل **معدودة** اى محدودة قال
الاستاد الى جماعة من الاوقات قليلة واصل الامة فى اللغة الجماعة من الناس فكأنه قال
الى انقراض امّة ومجئ امة اخرى واراد بالعذاب عذاب الآخرة وقيل عذاب يوم البدر **ليقولن**
استهزاء وتكذيبا **ما يحبسه** اى اىّ شئ يحبس العذاب ويمنعه وانما يقولون ذلك استعجالا
بالعذاب يحسبون انه ليس بشئ قال الله عز وجل فى جوابهم **الا يوم يأتيهم** العذاب كيوم
بدر **ليس مصروفا** اى ليس العذاب مرفوعا عنهم يعنى لا يصرفه عنهم شئ ويوم منصوب بخبر

ليس



ليس نقدّم عليه وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها لانه اذا جاز تقديم المعمول كان تقديم عامله
اولى اذ المعمول لا يقع الا حيث يقع العامل **وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن** يعنى ونزل
واحاط بهم وبال استهزائهم يعنى وقع عليهم العذاب الذى كانوا به يستعجلون وضع الماضى موضع
المستقبل تحقيقا ومبالغة فى التهديد ووضع يستهزؤن موضع يستعجلون لان استعجالهم كان
استهزاء وسخرية ثم لما ذكر ان عذاب الكفار وان تأخر لا بد وان يحيق بهم ذكر بعده ما يدل على
كفرهم وعلى كونهم مستحقين لذلك العذاب فقال **ولئن اذقنا الانسان** قال الكسيوطى اراد بالانسان
الكافر اى الوليد بن المغيرة وقيل اراد به الجنس **منّا رحمة** اى غنا وصحة يعنى ان اعطيناه رخاء
وسعة فى الرزق والعيش وصحة فى البدن وبسطنا عليه من الدنيا بحيث يجد لذتها **ثم نزعناها
منه** اى ثم ازلنا وسلبنا تلك النعمة من الانسان واصابته المصائب فاجتاحته وذهب به
**انه ليؤس** اى قطوع رجاءه من فضل الله لقلة صبره وعدم ثقته به **كفور** اى مبالغ فى كفران
ما سلف له من النعمة وجحود له **ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء** كصحة بعد مرض وغنى بعد
فقر **مسّته** اى اصابته اضاف الله تعالى اذاقة النعماء الى ذاته الجليلة ومسّ الضراء اليها
لا الى ذاته الجليلة تنبيها على ان القصد الاول ايصال الخير الى العباد تفضلا منه تعالى ورحمة
ومساس الشر ليس الا لشوم نفسه وفساد حاله مجازاة وانتقاما قال الله تعالى ما اصابك من حسنة
فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك ولا ينافى ذلك قوله تعالى قل كل من عند الله فان الكل منه
ايجادا غير ان الحسنة احسان وامتنان والسيئة مجازاة وانتقام كخبر ما من مسلم يصيبه وصب
ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله تعالى اكثر **ليقولن**
اى الانسان الذى اصابه الخير والسعة والصحة **ذهب السيئات عنى** يعنى ذهبت الشدائد
والعسر والضيق وانما قال ذلك غرّة بالله عز وجل وجرأة عليه لانه لم يضف الاشياء كلها
الى الله عز وجل وانما اضافها الى العوائد فلهذا ذمّه الله عز وجل فقال **انه لفرح** اى بطر
بالنعم مغترّ بها والفرح لذّة تحصل فى القلب بنيل المراد والمشتهى **فخور** متجبر متطاول على
الناس بما اذاقه الله من نعمائه وقد شغله الفخر عن الشكر وفى لفظ الاذاقة والمسّ تنبيه على
انّ ما يجده الانسان فى الدنيا من النعم والمحن كالانموذج لما يجده فى الآخرة وانه يقع فى
الكفران والبطر بادنى شئ لان الذوق ادراك الطعم والمسّ مبدأ الوصول ثم استثنى فقال عز وجل
**الا الذين صبروا** على الضراء ولم يظهروا الجزع ايمانا بالله واستسلاما لقضائه **وعملوا
الصالحات** شكرا لآلائه سابقها ولاحقها قال الفراء هذا استثناء منقطع معناه لكن الذين صبروا
وعملوا الصالحات فانهم ليسوا كذلك فانهم ان نالتهم شدة صبروا وان نالوا نعمة شكروا عليها
قال بعضهم والاستثناء متصل ان كان اللام فى الانسان للاستغراق كقوله ان الانسان لفى خسر
الا الذين آمنوا ومنقطع ان كان للعهد لان الانسان المذكور هناهم الكفار على ما عليه الاكثرون
**اولئك** اى من هذه صفته **لهم مغفرة** لذنوبهم **واجر كبير** يعنى الجنة واقله الجنة
واختيار الكبير على العظيم لعله لرعاية الفواصل ثم سلّى نبيّه صلى الله عليه وسلم بقوله **فلعلك**



Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)